

## التقوية الغير أرثوذكسية\*

### الأرشمندريت كيرلس كوستوبولوس

### نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

مقدمة للأب أنطوان ملكي

تزدهر التقوية في العالم الأرثوذكسي بشكل عام بتأثير من عدة عوامل، من أهمها المغالاة في الخلط بين العادات الشعبية والممارسات الدينية. بالإضافة إلى هذا، في لبنان وسوريا تزدهر التقوية بتأثر مباشر من الاختلاط بالكثلكة، وبشكل اساسي عبر الإعلام الكاثوليكي، حيث تشكل التقوية المادة الأساسية لما يتم عرضه، كتعداد المعجزات والمقابلات المرتبطة بها، الزياحات كنشاط مستقل عن الحياة الليتورجية، القدايس غب الطلب، التعليم التسطيحي عن الألم وخلطه مع الوجد، التركيز على الحزن والانكسار العاطفيين بدل الرجاء والفرح القياميين، وغيرها. يعترض بعض الآباء والمؤمنون الأرثوذكسيون على الممارسات والثقافة التقوية إذ يجدون فيها ما لا يتوافق مع إيمانهم وممارساتهم. يعرض هذا المقال الموقف الأرثوذكسي اللاهوتي من التقوية بشكل يوضح الاعتراض الأرثوذكسي عليها واستغلال مشاعر المؤمنين، خاصة أصحاب الإيمان البسيط الذي لا يغوص في اللاهوتيات. كما أنه دعوة للمعترضين إلى أن لا يترددوا في التعبير عن قناعتهم، وللمعلمين إلى أن يضيئوا على الحقيقة حتى لو سببت في البداية بعض الاعتراض من التقويين ومستغلي التقوية.

التقوية (Pietism - πειτισμός) هي ظاهرة في الحياة الدينية البروتستانتية، ظهرت لأول مرة في القرن السابع عشر في دوائر اللوثرية التي سعت إلى تجديد الحياة الروحية ضمن البروتستانتية بقصد تحفيز المشاعر الدينية. في اليونان ظهرت التقوية في السياق الأوسع لـ "أوربة" البلاد (جعلها أوروبية: المترجم)†.

تهدف التقوية في المقام الأول إلى "التقوى العملية"، في مقابل الحياة الآبائية والكنسية. تستدعي معرفة الله في التقوية اختباراً عاطفياً للحقائق الأساسية. إنها تتداخل مع الحقيقة اللاهوتية الآبائية، لكنها تستخف بها وتتجاهلها، وتصل بها إلى اللادرية برداء النفعية الأخلاقية.

إلى هذا، إنكار الحقيقة الوجودية (الأنطولوجية) في الشركة الكنسية هو عنصر أساسي في التقوية. فخلاص الإنسان يُعتَبَر حدثاً فردياً، وطغياناً للتقوى الشخصية. أما الأرثوذكسية فتعلم أن خلاص الإنسان هو حدث كنسي. إن من يقود إلى الفداء والخلاص هو الخليقة الجديدة، جسد المسيح الإلهي-الإنساني، جماعة الأشخاص. يؤكد الذهبي الفم الإلهي: "كما أن جسدنا هو شيء واحد على الرغم من

أنه يتكوّن من أجزاء كثيرة: كذلك نحن جميعًا في الكنيسة شيء واحد. على الرغم من أن الكنيسة تتكون من أعضاء كثيرة، إلا أنهم يشكلون جسدًا واحدًا" (PG 61,527-528).

إن الكنيسة الأرثوذكسية هي جسد الإله الإنسان، حيث الروح القدس هو روحها الذي يصنع خلاص أعضائها. إنه يدبر كل شيء بحيث "نُعطي النعمة الإلهية والفداء والخلاص من الله في المسيح بالروح القدس" (باسيليوس الكبير، PG 29,664D) لجميع أعضاء جسدها.

لكن، بحسب تعاليم الثقوية، فإن خلاص الإنسان ليس حدثًا كنسيًا. ليست المشاركة الشخصية في الجماعة الكنسية هي ما يخلّص الإنسان، على الرغم من عدم استحقاقه. إنه ببساطة إنجاز فردي، تناسقٌ أحادي في الأحداث الدينية والالتزامات الأخلاقية، اقتداء شخصي بفضائل "الناصرى الحلو"، وهو ما يضمن التبرير بشكل أكيد.

بالنسبة للثقويين، الكنيسة هي ظاهرة تبرير فردي. إنها تجمّع للطاهرين وملء التدنّين الشخصي. هكذا تنفصل عن الحقيقة الكنسية وتحوّل التقوى إلى إنجاز فردي "يحسّن" الشخصية والسلوك، لكنه لا يستطيع تغيير طريقة وجودنا، ولا تحويل الفساد إلى عدم فساد، والموت إلى الحياة والقيامة.

اليوم، في المجتمعات الغربية، يتم تقييم عمل الكنيسة بمقدار خدماتها الاجتماعية ويتم تنظيمها كمؤسسة دهرية ذات أغراض أخلاقية. أما الذهبي الفم فيهتف: "الكنيسة سماوية، وليست شيئاً سوى السماء" (PG 63, 112).

لهذا السبب تنتهي الثقوية إلى أن تكون بدعةً في المدى الكنائسي، وهذا ما نؤمن به بكل إخلاص. إنها تقوِّض، كما نقول، حقيقة الكنيسة الأرثوذكسية، وتنقل حدث الخلاص من الخلق الكنسي إلى الفردانية. أخيرًا، الثقوية تقوِّض الحقيقة الوجودية للكنيسة الأرثوذكسية الأبائية، من دون أن تستنطق شكليات هذه الحقيقة. إنها تتجاهلها ببساطة وتنقلها إلى اختصاص اللاهوت الأكاديمي. نحن نعتقد بوجود شجب الثقوية باعتبارها تصورًا مزيّفًا للتقوى الأرثوذكسية كما يجب إدانتها.

\* العبارة المستعقلة في الأصل اليوناني للنص هي εὐσεβισμός التي تعني "التقوى المضطّعة"، وهي التي يُتعارف على تسميتها "الثقوية" والتي يحمل اسمها تيار التقوية (Pietism - πειτισμός) الذي عرفته اللوثرية من أواخر القرن السابع عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر و ما بعده.

Source: Αρχ. Κυρίλλου Κωστοπούλου. Ο Αντιορθόδοξος Ευσεβισμός.  
<https://paterikos.blogspot.com/2014/09/o.html>